

الدكتور جيلالي تكران -جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف .

دراسة تحليلية في خلفيات نشأة الحركة النقابية بالجزائر بين 1900

-1930

اختلفت الممارسة النقابية بالجزائر إبان الاستعمار الفرنسي في طبيعتها عما ميز الحركة النقابية في موطنها الأصلي وعن الممارسة في الوضع الاستعماري , وجاءت النقابية كتنظيم دفاعي لفئات العمال في مواجهة العلاقة الاستغلالية الرأسمالية التي اقترنت ببعد ثان¹ في الطبيعة الاستعمارية للرأسمال الفرنسي بالجزائر . ومن البديهي كان على أي تنظيم نقابي ان يطرح اشكالية عمله ونضاله طبقا لجوهر الكيان الاقتصادي الذي ترسخ له القوى العاملة في بعده الرأسمالي والاستعماري وبعبارة أخرى فانه لم يكن بوسع أي منظمة نقابية إقامة نشاطها إلا في تصور يأخذ في الاعتبار الجانب النقابي (المطلبي) والجانب السياسي للمسألة .

1- البدايات الأولى لتشكل الحركة النقابية بالجزائر²:

حقيقة فرضت هذه الاشكالية التاريخية نفسها على مختلف التيارات النقابية الفرنسية الوحيدة في الميدان والتي عن طريقها احتك الجزائريون بالحركة النقابية وتعرفوا على المواقف المتباينة للتنظيمات النقابية الفرنسية بالجزائر تجاه الكيان الاستعماري دون التوصل الى التوفيق بين النص أو الواقع وبشكل دائم بين المطلب النقابي (مناهضة الرأسمالية) والمطلب السياسي (مناهضة الاستعمار) , إذ منها من تقيد

بالمطلب المادي و عمل على تجاهل المطلب السياسي للإشكالية ومناصرة الاستعمار³ .

لقد أحدث الغزو الفرنسي للجزائر 05-07-1830 قطيعة جذرية في المجتمع الجزائري وفرض الهيمنة الاستعمارية التي طورت نمطا جديدا للإنتاج الرأسمالي بالتوازي مع التغلغل الاستعماري المسلح داخل البلاد طيلة القرن التاسع عشر , رافقته إجراءات مست الملكية الثابتة و المنقولة ساعدت في الاخير على تفكيك المجتمع الجزائري التقليدي وسمحت ببروز الاقتصاد الاستغلالي الرأسمالي في مطلع القرن العشرين, حيث ظهرت قوة عمل جديدة موازية للإدارة وأرباب العمل والفئة المهاجرة العدوانية والاستغلالية ولكن إفرازات ذلك النمط الرأسمالي لم يتطور بالكيفية التي تطور بها في أوربا, فواقع الرأسمالية في الجزائر أنذاك قامت على الزراعة النقدية والتجارية ولم تقم على الصناعة وإن وجدت ورشات صناعية فهي في خدمة الزراعة ومن المعلوم انه لا يمكن أن توجد رأسمالية حقيقية دون صناعة حقيقية فإذا كان النظام الإقطاعي في اوربا قد أعطى بديلا وهو الرأسمالية واستوعب المجتمع في الآليات الجديدة فان الرأسمالية الاستغلالية في الجزائر قد فككت النمط الاقتصادي التقليدي ولفظت غالبية المجتمع الجزائري الى البطالة أو الهجرة⁴.

لقد تغير النشاط الاجتماعي والمهني وسنت قوانين وتشريعات لتنظيم الأهالي وأنشطتهم المتباينة في الأجور بين العمال الجزائريين والأوربيين

فضلا عن العنصرية التي أصبحت تتحكم في العلاقة بين العمال الجزائريين وأرباب العمل الأوروبيين والإدارة الاستعمارية من موقع العلاقة بين الحاكم والمحكوم مما أعطى النضالات العمالية في القرن 19 طابعا معاديا للاستعمار , فكل مطلب خاص بالأجرة أو تحديد ساعات العمل تفسره الإدارة على أنه مساس بالشعور السياسي ودليلا ماديا لقوات المستعمر للتدخل وفرض نظامها القمعي⁵ .

و للإحاطة بتكوين الحركة العمالية او النقابية ينبغي معرفة كيفية ظهور العمال الأجوريين في الجزائر المستعمرة التي أوجد فيها الاستعمار الفرنسي ثلاث فئات اجتماعية عرقية : الجزائري بالأصل - الفرنسيون- الأوروبيون . وهذا التباين العرقي ولد اختلالا في هيكل الأجور , فالعمال الأوروبيون هم عمال مؤهلون أجورهم ضعف أجر العامل الجزائري ثلاث مرات وقد انتزعت منهم الممتلكات وفضلوا الهجرة داخل البلاد أو الى البلدان العربية والاسلامية ومن بقي منهم عاش في فقر مدقع حيث لا مسكن قار ولا مهنة محددة يهيمنون في كل وجهة بحثا عن عمل لإعالة أسرهم الكثيرة العدد .

لقد احتكر العمال الاجانب بالجزائر المناجم والمحاجر و الأشغال العمومية , وبلغ عدد المؤسسات الصناعية في مقاطعة الجزائر سنة 1862 , 812 مؤسسة بها 1698 عامل, ويبرز لنا الجدول التالي تعداد العمال في المناطق الحضرية والمؤسسات الصناعية بين 1884- 1890⁶ :

السنة	العمال	الجزائر	وهران	قسنطينة
1884	34357	23207	818	7152
1885	46377	25267	11081	10029
1886	45670	26704	7262	11704
1887	59188	27374	16478	15333
1889	59536	26336	16400	16775
1890	56451	23385	17910	15159

و يقدر مجموع العمال في تلك الفترة 301570 عاملا نسبة مدينة الجزائر 50.49 % ووهران 23.19 % وقسنطينة 25.25 % وهي صورة تعكس ضعف النسيج الصناعي واللاتوازن بين المقاطعات ومدى كثافة تركز الأوربيين حول الثروات المنجمية وهو ما يطرح تساؤلات عديدة بشأن نية فرنسا في تصنيع الجزائر أم لاعتبارات أمنية غداة الحرب العالمية الثانية ؟.

يظهر الكم العمالي المتزايد الى عدد السكان سنة 1891 في المقاطعات الثلاث حسب الجدول الاتي ⁷ :

المنطقة	جزائريون	اوربيون	المجموع	عدد العمال
الجزائر	1.283.827	184.300	1.468.127	24153
وهران	752.188	189.878	942.066	16626
قسنطينة	1.605.252	109.287	1.714.539	10364

يظهر الجدول مدى قلة العمالة الصناعية في الجزائر وتأتي الجزائر في الرتبة الثانية بنسبة 1.64 % بعد وهران بـ: 1.76 % لكثرة الأوربيين بها ثم قسنطينة بـ: 0.60 % لقلة الأوربيين بها الأمر الذي قلل من تبوء الصدارة في العمالة الجزائرية وهي نسب ضعيفة جدا في اليد العاملة بالمدن وأغلبها من الأوربيين لتواجد المؤسسات الصناعية بها كما تؤثر هذه النسب على مدى ضعف البروليتاريا الجزائرية بالمدن في أواخر القرن التاسع عشر لترتفع تدريجيا غداة الحرب العالمية الأولى بعد تغير الواقع الدولي وبروز توجه نحو التفتح أكثر على الجزائر من بعض المسؤولين الفرنسيين .

ونظرا للتسيير الارتجالي الذي مورس في الجزائر كمستعمرة استيطانية وتعاقب عدة شخصيات وسياسات سادتها صراعات بين المجموعات العرقية فإنه لم يكن الأمر سهلا للجزائريين لتنظيم الحياة العملية داخل المؤسسات الإنتاجية وظل الصراع قائما بين مجموعتين من السكان هما :

- المجموعة الأولى : وهم سكان المدن والارياف الجزائريين الذين عاشوا خلال النصف الأول من القرن 19 على الهامش بفعل الاستعمار والاستيطان حيث لا مكان لهم في النسيج الصناعي ماعدا جزء يسير منهم يشتغلون في المناجم والنسيج .

-المجموعة الثانية :وهم السكان الأوربيون الذين يشتغلون في القطاع الصناعي ونظرا لتعدد أعراقهم فان الوضع زاد تعقيدا ولم يسمح بوجود التضامن بينهم ومناخ ملائم لخلق نقابة مهنية .

وفي النصف الثاني من القرن 19 وتغير الحكم العسكري بالجزائر الى حكم مدني تمكن المستوطنون من الهيمنة على المؤسسات الإدارية والاقتصادية والتجارية وبدأت عملية التكتل المهني ضمن لجان قطاعية , وكان أول تجمع عمالي ظهر في الجزائر⁸ هو: الغرفة النقابية لعمال المعادن بالجزائر في 09-11-1878 وأنشئت الغرفة النقابية لعمال الطباعة الحجرية بمدينة الجزائر في 15-11-1878 ثم في ديسمبر 1878 انشئت الغرفة النقابية لعمال النجارة الفنية بالجزائر وكان عدد المنخرطين في الغرفتين الأخيرتين , للأولى 105 منخرطا و الثانية 159 منخرطا وفي 1880 ظهر اتحاد عمال مدينة الجزائر . وفي قسنطينة أسس عمال المطاعم وصانعي الحلويات أول نقابة لهم فضلا عن الاتحاد النقابي لعمال المطابع سنة 1880 مما سمح بتكوين نقابات مهنية في العمالات الثلاث وصل عددها سنة 1894 الى 73 نقابة بما فيها نقابات أرباب العمل⁹ ونفس الاهتمام لقيه عمال التركيب في المطابع بوهران بإنشاء نقابة لهم .

وفي 1882 تم تأسيس الاتحاد الخاص بعمال طباعة الكتب بقسنطينة بالتزامن مع الاتحاد النقابي لعمال المطابع والتجليد¹⁰ وبلغ إجمالي عدد هذه الغرف النقابية بين 1878-1887 حوالي 24 نقابة , حصة الجزائر 10 نقابات , وهران 05 نقابات , قسنطينة 09 نقابات¹¹ .

جاء قانون 21-03-1884 المتضمن للمواد المنظمة للعمل النقابي مكرسا لواقع كان موجودا في الجزائر الا ان ضعف التكوين والانتشار والفعالية للتنظيمات النقابية والاتحادات العمالية ظلت مرهونة بالتباين العرقي للمجتمع المستوطن في الجزائر الامر الذي ابعد التضامن العمالي وسط الطبقة الشغيلة وافقدها قنوات التجمع والتكتل الا مع بداية القرن 20 حيث ارتبط العمال الاوربيون في الجزائر برابطة عمال فرنسا التي دربت هؤلاء على العمل النقابي، مما يفسر ان هذا النمط من الكفاح كان دخيلا على المجتمع الجزائري حملته البروليتاريا الاوربية الى الجزائر واذا القانون المذكور اعلاه قد اعطى الاشارة الى العمال بفرنسا في تشكيل تجمعاتهم المهنية فان الجزائر ظلت خارجه بل بقيت ضمن قانون الاهالي الا بحلول سنة 1901 عندما بودى في تطبيقه ¹² .

لقد جاء قانون 1884 مكرسا لشروط قرار السناتوسكونسيلت 14-07-1865 الذي يستثني الجزائريين من التمتع بالحقوق المدنية على غرار نظرائهم من الاوربيين ، إذ اشترط القانون أن يكون الأعضاء المؤسسين للنقابة فرنسيون ويتمتعون بحقوقهم المدنية وجعل الجزائريين خارج الإطار والاهتمام ، وعندئذ تضاعف عدد النقابات المهنية الأوربية في وهران ، عنابة ، قسنطينة وبلغ عددها سنة 1891 : 51 نقابة في عمالة الجزائر ، 15 نقابة في قسنطينة ، 07 في عمالة وهران ¹³ و يستجد أرياب العمل بالعمال الجزائريين لتكسير إضراب النقابات في فرنسا على غرار ما حدث 1904-1907 حيث تم ترحيل جزائريين من

شركة بحرية فرنسية لإضعاف إضراب عمال الموانئ بمرسليا¹⁴ وجعل
العنصر العمالي الجزائري هامشيا لا يصلح للانضمام الى النقابة
ويصلح فقط -حسب هؤلاء- كبديل مؤقت لتكسير الإضرابات .

لقد حاربت السلطات الادارية النقابات الى غاية 1901 حين أنشئت
في العاصمة 33 نقابة ضمت 3300 منخرط بها عدد من الجزائريين
وازداد عدد النقابات سنة 1902 الى 42 نقابة وفي وهران بلغ عدد
النقابات سنة 1907 , 25 نقابة انخرط فيها 1853 عاملا وأنتظم
الجزائريون في الموانئ وكافحوا ضد الادارة وأرباب العمل سنة 1900
بعدما احتكوا بالإضرابات منذ 1885¹⁵ .

وتطور عدد النقابات سنة 1911 الى 241 نقابة منها 126 نقابة في
الجزائر و 61 نقابة في وهران و 54 نقابة في قسنطينة¹⁶. وهذا لا يعني
أن الجزائريين انضموا بكثافة وبسرعة الى النقابات قبل 1920 بل ظل
انضمامهم بطيئا ثم تطور تدريجيا من 1920 الى 1930 ليصبح هاما
ومحسوسا من 1930 الى 1956¹⁷ وبقي العمل النقابي في الجزائر
الى غاية 1920 أوروبيا خالصا ولم يتورع الجزائريون في الانضمام إليها
خوفا من اتهامهم بالتحريض على المقاومة وأن انخراطهم في النقابة هو
من سبيل تحقيق مزايا للأوروبيين وليس للجزائريين أنفسهم¹⁸ .

لم تشكل الحركة النقابية قبل الحرب العالمية الاولى سوى ظاهرة
أقل جذبا للعمال بسبب ضعف التصنيع في الجزائر والتحول الذي عانت

منه البلاد طبعه صراع الطبقات وغياب دور العائلات و القبائل في نمو وعي عمالي ولم يكتشف العمال الجزائريون الأجراء أفكار الطبقة العاملة الأوروبية إلا بعد أن تم تجنيدهم أثناء الحرب العالمية الأولى في المصانع والمناجم والموانئ¹⁹ غير أن هذا الطرح لا يثبت أمام الوقائع التاريخية من أن الجزائريين كانوا غير واعين بالكفاح العمالي وإنما الاستعمار الفرنسي في الجزائر كان سببا رئيسا في عدم وجود طبقة عمالية جزائرية واعية لغياب بنية تحتية صناعية واستحالة تنظيم الجزائريين بسبب قانون الأهالي الذي حرّمهم من التجمعات المهنية²⁰ وأن الجزائر مستعمرة استيطانية استغلالية تصدر المواد الأولية والمنجمية للمتروبول ولم توجد نظاما اقتصاديا تتكون فيه شريحة عمالية واعية وأن تعدد الاجناس بها منع التجانس والتضامن العمالي الذي يعتبر عربون نجاح لأي حركة مطلبية لدى الطبقة العمالية²¹ .

يمثل العدد الكمي للعمال قوة ثقل داخل الهياكل النقابية ووسيلة ضغط على أرباب العمل لذا فإن تعداد العمال الجزائريين سنة 1902 في الورشات الصناعية بمدينة الجزائر لا يكاد يتجاوز 20.335 عاملا بسبب المناخ الاقتصادي والاجتماعي غير المشجع على استقطاب اليد العاملة وتوسيع الاستثمار الصناعي وتفرق العمال الأوروبيين واهتمام المستوطنين والإدارة بالعامل الزراعي في المواسم كما أن تفكك

الجماعات الأصلية والمتوارثة كالمناجم والنسيج فقط جعل بقية المهن الاخرى بيد الأوربيين²² .

2- الحرب العالمية الاولى وتطور الوعي النقابي بالجزائر :

لقد خلفت الحرب العالمية الأولى تغيرات جيوسياسية وخسائر مادية وبشرية معتبرة كان ثقلها أقوى على الطبقة الشغيلة الأكثر تأثراً بالأزمة الاقتصادية التي ميزها ضعف المحصول الزراعي وتراجع الأنشطة الاقتصادية لتحطم البنية التحتية والمؤسسات الإنتاجية مما ساعد على تسريح العمال و ازدياد البطالة وتدني الأجور وارتفاع أسعار المواد الغذائية حسبما يشير اليه الجدول التالي²³ :

سنة 1926	سنة 1923	المواد الغذائية
2.35/ف	1.10/ف	الخبز
1.70/ف	0.75/ف	البطاطا
1.90/ف	0.8/ف	الفريضة
9/ف	4.5/ف	لحم الخروف

إذ يوزع الراتب الشهري 260/ف ما قيمته 80.70/ف في شكل ضرائب ويقدر سعر الساعة الواحدة لعامل في المناجم بـ: 12/ف وعمال البناء 10/ف وهذه الظروف الاجتماعية القاسية هي التي فتحت الباب واسعا أمام الكفاح الاجتماعي بين 1920-1936 وسهلت تنظيم العمال في النقابات بعد تردي الوضع المعيشي لأغلب العمال الذين شنوا حركة إضراب واسعة بين 1919-1922 بلغت 225 اضرابا .

وبلغ عدد الإضرابات بين 1919-1920 ، 186 إضرابا أي خلال سنة واحدة فقط ومن أهمها إضراب عمال السكة الحديدية والموانئ²⁴ الذين يشكلون العدد الأكبر في موانئ وهران سكيكدة وعنابة والجزائر ومستغانم لحسن تنظيمهم وخبرتهم في إدارة الإضرابات مما جعل نقابة CGT²⁵ تسعى لاستقطابهم²⁶ واستمرت هذه الشريحة في توسيع الإضراب - لطبيعة العمل و الاستغلال الذي تعرض له الجزائريون- الى الغرب الجزائري بميناء وهران ، مستغانم وأرزيو في 09-04-1919 لمدة تسعة أيام مطالبين برفع الأجور حيث تم الاستجابة لمطلبهم ورفع الأجر الساعي من 07/ف الى 10/ف²⁷ .

وبعودة المهاجرين الجزائريين الى بلدهم بانتهاء عقود عملهم سجلت سنة 1919 ، 53 إضرابا شارك فيه 7836 عاملا في عمالة الجزائر وحدها و 20 إضرابا سنة 1920 شارك فيه 6250 عاملا²⁸ واتخذت الحركة العمالية من المسيرات والإضرابات أسلوبا لمقاومة التسلط الاستعماري على المجتمع الأهلي ففي سنة 1928 شهدت عمالة الجزائر 20 إضرابا شارك فيه 1817 مضربا و عمالة وهران 10 إضرابات بمشاركة 2250 مضربا و عمالة قسنطينة 09 إضرابات بمشاركة 1218 مضربا²⁹.

لقد قابل هذا الانتفاضة العمالية تراجعاً محسوساً في الإنتاج الزراعي إذ بلغ إنتاج القمح سنة 1920 ، 3.2 م/ق بعد ما كان 7.1 م/ق سنة 1918 وتراجع إنتاج الشعير من 7.5 م/ق الى 2.7 م/ق في نفس الفترة أما الماشية البالغ عددها 7.9 م/ رأس سنة 1919 أصبحت 3.3 م/ رأس سنة 1927 وتضاءلت المساحة الزراعية بين 1917-1930 من 9.224.979 هـ الى 7.563.000 هـ³⁰ لصالح المستوطنين وعلى حساب الفلاحين الصغار .

لقد كان لتجنيد الجزائريين كعمال و جنود في بداية الحرب الأولى و هجرتهم نحو فرنسا غداًتها بحثاً عن العمل عاملاً هاماً في فتح عيونهم على العالم بكل أبعاده ، إذ أن قوانين إنشاء نقابة لم تكن هي نفسها في فرنسا و هو ما سمح للعمال المهاجرين الجزائريين بمد الخطوات الأولى للنضال بعد الحرب مستفيدين من انفتاح مجال حرية التعبير وتعدد الآراء السياسية والنقابية وميل اليسار بمن فيهم الشيوعيين نحو تعبئة عمال المستعمرات وخصوصاً العمال الجزائريين بفرنسا من زاويتين :

* - كولونيالية : إذ حاولوا تسييس الأقلية الجزائرية في وسط المجتمع الفرنسي .

*- بروليتارية : شرعوا في العمل النقابي على صعيد المؤسسة³¹ . وتجسدت في ميدان العمل النقابي طرق هيكلية واستمالة الجالية الجزائرية المهاجرة بنسج علاقات مع أصحاب المقاهي والفنادق والمطاعم

والمؤسسة والتقرب من النخبة المثقفة والإطارات وقد أعطى أمين هيئة المستعمرات " لاريبار " خطة شاملة لاستمالة الجزائريين هناك ففي 11-03-1924 صرح قائلا " سيكون جيدا جمع الرفاق الجزائريين بشكل منظم والحديث معهم حول قضايا بسيطة ثم نختار هؤلاء الذين يبدون أكثر انفتاحا وأكثر قابلية لاستيعاب عقيدتنا وجعلهم دعائيين بين إخوانهم الأهالي " ³² مما يعني أهمية العمالة الجزائرية في الاستحقاق السياسي لليسار بفرنسا واستخدام طرقا تدرجية للتغلغل وسط الرعايا الجزائريين الذين استطاعوا الاحتكاك بالطبقة العاملة الفرنسية وخوض المعارك المطالبة والتعرف على طرق النضال الجديدة ووسائل التنظيم والتضامن وروح المبادرة داخل الطبقة العاملة ³³ و هو ما نلاحظه في صحفهم التي تدافع عن تكتل العمال كصحيفة " لاتربين دي بروليتاريا كولونيال " في مقال لها سنة 1923 بعنوان " يا عمال الجزائر نظموا أنفسكم " كتبت تقول : " لمواجهة إجراءات الحكومة الداعية الى وقف الهجرة تلبية لرغبة الكولون الذين صرخوا في وجه الحكومة من ندرة اليد العاملة الرخيصة في الجزائر ودفعوا الحاكم العام الى إصدار قانون يمنع الهجرة ويشدد إجراءاتها كما دعت العمال الى الاتحاد لكسر قرار الاستعمار وأن تحرير العمال يكون بالعمال أنفسهم " ³⁴ .

وعليه كانت الحرب والإعمار سببان محوريان في ميلاد النواة الأولى للنفابيين الجزائريين بالمهجر داخل الكونفدرالية العامة للشغل التي لم يصطدم فيها التضامن الطبقي والعنقي بين العمال الفرنسيين

والجزائريين عكس ذلك التباعد الموجود بالجزائر بين المستوطنين والأهالي بحكم الواقع الاستعماري³⁵ وأن الحركة العمالية في الجزائر لم تتماشى بنفس الوتيرة التي عرفت في المهجر بفرنسا³⁶ , وشكل العمال الجزائريون بفرنسا الكتلة الحقيقية للنضال النقابي والوطني بين 1920-1924 والتي أعطت الحركة الوطنية الجزائرية الطابع البروليتاري وفي الجزائر حتم الوجود الاستعماري الاستيطاني على الطبقة العاملة الأوربية والعمال الجزائريين الانجذاب نحو التنظيمات العمالية التي هي فروع المركزية الفرنسية الأم بعد سنة 1919³⁷.

لقد كانت الساحة العمالية والنقابية الجزائرية محل صراع نقابتين هما رغم واحدية المشرب :

أ- الكونفدرالية العامة للشغل CGT الاشتراكية النزعة تحت تأثير " SFIO"³⁸ , وتهدف الى تحرير الطبقة العاملة من أشكال الاستغلال في إطار السيادة الفرنسية الأمر الذي جعلها أقل جذبا للعمال الجزائريين.
ب- الكونفدرالية العامة للشغل الموحد³⁹ CGTU الشيوعية النزعة تحت تأثير الحزب الشيوعي الفرنسي⁴⁰ وان تحرير العمال مرهون بتصفية الاستعمار⁴¹ وحق الشعوب في تقرير مصيرها .

لقد كان لهذه الأخيرة صدى كبير وسط الجزائريين عكس الأولى وكان مقرها بالجزائر⁴² بل ذهب الى حد المطالبة بالاستقلال التام

للجزائر في توصية لمؤتمرها سنة 1929 وأثناء الاحتفال المؤي حرصت على المسيرات و الإضرابات المناهضة للاستعمار والمطالبة بالحرية⁴³ , بقيت الأقلية في " CGT " وتشكلت النقابة الوليدة CGTU " من الأغلبية و بقيت 08 نقابات في الجزائر , 07 نقابات في وهران و 3/2 النقابات في قسنطينة تابعة لـ CGT وحسب Irving Alexandre Alfred " اتبعت الحركة النقابية الجزائرية بكل شفافية الشيوعية وأغلب النقابات انضمت الى CGTU الثورية⁴⁴ . وبفضل انجذاب الجزائريين نحوها أصبحت هذه الأخيرة أكثر انتشارا وتجذرا في الجزائر وانفردت عن CGT بكونها تتمتع بهيكله مركزية وعمل منسق في الجزائر وتضم 7000 عامل أغلبهم من عمال السكة الحديدية الذين أعطوها قوة تأثير كبيرة وتوزيع جغرافي واسع , يحتلون 13 مركزا حضريا مهما في الجزائر وسرعة حركتهم وتحركهم البيني وما بين القطاعات جعلهم طبقة شغيلة منسجمة نشطة وخبيرة سنة 1923⁴⁵ . وبحكم معاداة CGTU للاحتلال وخدمتها للجزائريين انضم إليها 1000 عامل لكنها بقيت ضعيفة في القطاعات الأخرى مثل الموانئ, المناجم والزراعة⁴⁶ .

3-الوطنية و النضال النقابي في فرنسا والجزائر :

لقد أقامت CGTU فعلا علاقات سياسية ونضالية مشتركة بين بين المناضلين الأوربيين الأكثر ثورية (التيار الودوي والشيوعي) والمناضلين الجزائريين (التيار الشيوعي و الوطني)⁴⁷ بسبب أن النظام

الاستعماري مدان بقوة في أدبيات ومبادئ النقابة - على عكس نقابة CGT - لكن هذه الإدانة صعبة الدوام بحكم الخلافات الداخلية⁴⁸ المرتبطة أساسا بالتعارض الداخلي بين النقابيين الأوربيين والجزائريين مثلما حصل في مؤتمر العمال العرب في 15-06 - 1930 المنعقد بالجزائر وتوصيات الأُممية الشيوعية والأُممية النقابية الحمراء التي صادقت على توصية تطالب باستقلال الجزائر وجزارة المنظمة النقابية والتي وجدت اعتراض النقابيين الأوربيين والحزب الشيوعي الفرنسي⁴⁹ الذي وقع أسير طروحاته ولم يقدر الشعور الوطني العميق لدى الجزائريين المهاجرين بفرنسا وانطلاق الوطنية الانفصالية بعناصر جزائرية ساهم الحزب ذاته في تكوينها داخل هياكله وسيستخدمون أسلحته ضده وعندئذ باتت القطيعة وشيكة بين الوطنية والشيوعية⁵⁰ ومما قطع الحبل السري بين اليسار الفرنسي والنجم هو برنامج هذا الأخير السياسي الثوري الذي صاغه في 28-05-1933⁵¹ .

لقد تبني المؤتمر العربي للعمال قرارا جماعيا يقر بإنشاء مركزية جزائرية⁵² أو (CGT جزائرية) وتم تأكيدها في المؤتمر الجهوي لـ: CGTU بالجزائر يومي 07 و08 ديسمبر 1930 كما صوت على المشروع في المؤتمر السادس لـ: CGTU المنعقد في باريس سنة 1931⁵³ .

وحاول الحزب في اعقاب مؤتمر ليون الثاني المنعقد في 20 الى 24 جانفي 1924 العمل على التوفيق بين النشاط النقابي والكولونيالي لتجنب الانقسام المضر والتوتر بين البروليتاريا الفرنسية وأبناء المهاجرين المقيمين في فرنسا والسعي الدؤوب لتنظيم الأهالي المقيمين في المتروبول كي يمنع عن الرأسمالية ضرب المشاريع الثورية باتخاذ أربعة إجراءات للعمل السياسي :

- عمل دعائي نشط وسط العمال الأوروبيين لاستيعاب التفاهم مع بروليتاريا المستعمرات .

- ضرورة إقامة نشاط إعلامي مكثف وسط عمال المستعمرات بفرنسا وجذبهم الى النقابة والعمل السياسي.

- تنظيم مهرجان بالتوافق مع المنظمات النقابية واستدعاء العمال الأهالي ليكلمهم خطباء بلغتهم الأصلية .

- توزيع بيانات دعائية باللغة العربية لأبناء المستعمرات⁵⁴ .

وتفسر شعبية نقابة CGTU بين الجزائريين على أنها طبقت المبدأ اللينيني في دعم الحركات التحررية وساندت الشعب الجزائري في المطالبة باستقلاله الوطني والتعبئة الاجتماعية للشرائح الأكثر تعاسة⁵⁵ الشيء الذي أكسب النقابة سمعة طيبة وسط المهاجرين في فرنسا لكن حدث العكس في الجزائر إذ غادر 80 % من فيدرالية الجزائر وتخلوا عن بطاقة الحزب لأنهم لم يعجبهم موقف الحزب من عبد الكريم الخطابي⁵⁶ إلا أن إدانة السياسة الاستعمارية التي تمنع الأهالي من تبوء

مناصب المسؤولية في النقابة كأمين عام أو أمين مالية سهلت من عملية الاستقطاب , في حين أن CGT بقيت فرنسية خالصة ولا تضم مناضلين جزائريين ماعدا الذين يطلق عليه " المجنسون 360 /فرنك " في إشارة الى المبلغ المالي المطلوب لتسوية الوثائق الخاصة للحصول على الجنسية الفرنسية ⁵⁷ كما استخدم الحزب الشيوعي الفرنسي ونقابة CGTU القريبة منه شعارات قوية لجذب الجزائريين الى النقابيين الشيوعيين كإلغاء قانون الاهالي والعفو العام عن المساجين ⁵⁸ , ووزعت النقابة المذكورة سابقا بيانا بمناسبة الفاتح من ماي 1929 تدعو فيه شعوب المستعمرات الى التظاهر ضد القمع الامبريالي ومن أجل استقلال الشعوب المستعمرة ⁵⁹ .

وفي مؤتمر ستراسبورغ المنعقد في 20-09-1925 تبنى الحزب الشيوعي الفرنسي برنامجا للدعاية الكولونيالية والمحافظات الفرنسية والمستعمرات شملت النقاط التالية :

- تصعيد اليقظة و التعبئة داخل المحافظات والمستعمرات .
- تشديد الدعاية وسط أبناء المستعمرات.
- دعوة الأهالي العاملين في فرنسا الى الانضمام الى نقابة CGTU .
- التحريض ودعم مطالب أبناء المستعمرات .
- تعزيز النضال ضد الإمبرياليين .

- تسمية مسؤولين لكل مجموعة من أبناء المستعمرات ينتمون الى الحزب الشيوعي الفرنسي⁶⁰ .

وفي نفس الاتجاه أكد الحزب الشيوعي الفرنسي في مؤتمر ليل بفرنسا 1926 على فرملة الوعي الوطني الى وعي طبقي واستعاضة الحركة الوطنية بالانتماء للمنظمات النقابية: " لقد ولد القمع الفرنسي لدى شعوب المستعمرات الضمير الوطني الذي هيمن واتخذ خطوة نحو صراع الطبقات , ولأجل الاستقلال الوطني ليس لدينا الحق بالبقاء حياديين تجاه هذه الحركة والتي نعرف دورها وحزبنا لا يمكن أن يندمج مع هذه الحركة الوطنية دون أن يتخلى عن دوره السياسي . ان العمل لخلق أو تطوير المنظمات النقابية وصراع الطبقات لأجل إشراك أكبر عدد ممكن من الأهالي لابد أن يكون أكثر جدية ونفس الشيء بالنسبة للحزب وحتى تكون التركيبة الوطنية للبروليتاريا في المستعمرة تعكس تركيبة الحزب"⁶¹ فالثورة الوطنية حسبه مرحلة عابرة أو وسيلة للوصول الى غاية وهي الثورة الاجتماعية⁶² .

وتلك النظرية متولدة عن مذهب الماركسية في تصنيف الشعوب بين من يملك ومن لا يملك ولم يخطر ببالهم أن الطبقة الاجتماعية أنذاك قد صنعها الاستعمار بآليات عسكرية ومنظومة قانونية واقتصادية وثقافية⁶³ مشكلا طبقة عريضة محرومة ستكون رافدا للتيار الراديكالي وهذه الرؤية السياسية يوافقها نجم شمال افريقيا الذي ينكر وجود صراع

الطبقات في الجزائر المستعمرة ويعتبر النقابات بمثابة منظمات محترفة تابعة للأحزاب تهتم بحشد الأوساط الاجتماعية والمهنية وتحريكها في دفعة وحدوية وأن تكون المطالب الاجتماعية والاقتصادية المرفوعة الى الهيئات الرسمية تابعة للكفاح من أجل الاستقلال الوطني باعتبار النضال الوطني كل متكامل ضد الاستعمار والرأسمالية عكس وجهة نظر الحزب الشيوعي الفرنسي الذي يريد الفصل بين النضال الاجتماعي والسياسي للعمال الجزائريين⁶⁴، او بعبارة دقيقة وهو ان الاتجاه النقابي CGTU يريد طرح القضية الوطنية ضمن استراتيجية الحركة العمالية اليسارية العالمية في مناهضتها للإمبريالية وكان هذا المنحى سائدا خلال العشرينيات والثلاثينيات والتي في كنفها ستطرح فكرة إنشاء نقابة جزائرية لتتبلور في الاربعينيات والخمسينيات وبحسب مسعى كل اتجاه في التوفيق بين الاجتماعي والسياسي يتوقف انضمام الجزائريين إليه⁶⁵.

لقد تطور العمال الجزائريون ضمن إطار مستورد من طرف العمال الفرنسيين ومندمج بمنظمات فرنسية حيث توجد طبائع اندماجية وانحرافات استعمارية وسوء فهم للطابع الوطني للصراع والتركيز الخاطئ على صراع الطبقات فالظروف الاجتماعية والاقتصادية المحيطة بالطبقة العاملة كانت تتعارض مع أي فرصة للعمل النقابي لأن همهم الأساسي كانت من كسب عاجل وآني للشغل ولم يكن بالإمكان أن تتوغل تطلعات النضال النقابي إصلاحيا كان أم ثوريا في وسط هؤلاء الغلابي من

المجتمع الجزائري وحصر مطالبه في ما هو مطلبى مادي وتجنب الانفعال مع السياسة⁶⁶.

وكانت جالية المهجر الجزائرية من الفئات التي نالت اهتمام CGTU في الهيكله والتعبئة و في الدعوة الى الوطنية ضمن إطار الاتحاد الدولي أولا ثم داخل النجم ثانيا وقد تجسد ذلك في التظاهرات النقابية المتمثلة في توزيع منشير CGTU باللغتين العربية والفرنسية في Lens و Valenciennes كما نظمت مؤتمرا شمال افريقي في أبريل 1925 في Douai حضره مناضلون جزائريون بغية إنشاء فروع نقابية في شركة Royale Asturienne des mines وتطورت العلاقة بين النجم و CGTU لتصبح علاقة عضوية بين العضوية في الحزب الوطني والانخراط في CGTU مثل المناضل محمد دردور الذي جمع بين الصفتين الأمر الذي ساعد على تنظيم تجمع في 20-04-1938 قرب Douai من طرف النقابة المحلية للمنتوجات الكيماوية وقدموا عريضة مطالب في نفس السنة تخص العلاوات العائلية ومنحة البطالة ومجانية شهادة الحياة والعطلة السنوية إلا أن العضوية ظلت محتشمة بسبب مضاعفات الأزمة الاقتصادية العالمية واكتفاء الجزائريين بإنابة فردا ينوب عن الجماعة⁶⁷.

ومن ذلك نرى ان الشيوعيين في الجزائر أو في فرنسا أرادوا تسويق فكرة العالمية في قالب الوطنية الجزائرية محاولين بياس التوفيق بين المفهومين الأمر الذي جعلهم يتخبطون في تلمس المنفذ ويقعون ضحية للإيديولوجيا الشيوعية لان الجزائريين لم يستوعبوا ذلك التناقض فانفضوا عنهم الى وطنية النجم بعد أن بلغوا من الاستعداد درجة مهمة تؤهلهم للاعتماد على أنفسهم في مطلع العقد الثالث من القرن العشرين الذي تتجدد فيه الارادة العمالية في الانتفاضة ضد غلاة المستوطنين الاستغاليين والسلطات الاستعمارية بالإضرابات والاضطرابات العنيفة في ربوع الجزائر.

الهم وامنش :

1الممارسة النقابية هدفين رئيسيين قد يكونا منفصلين أو متلازمين بحسب طبيعة سيادة البلد بين مستقل وأتابع ففي الحالة الأولى يكون هدف التنظيم النقابي تقديميا بغرض الحد من الاستغلال وفي الحالة الثانية يتلازم هدف التقدم مع هدف الاستقلال وهو وضع الجزائر بحكم محدودية تحقيق التقدم في وضع استعماري مما يجعل نضال المركزية النقابية يتسم بوجهين اجتماعي وسياسي في آن واحد

- او حركة العمل او حركة الطبقة العاملة المنضمة الى الاتحادات العمالية والنقابات بغرض النشاط داخل ثلاث جبهات سياسية وصناعية وتعاونية وقد تكون الحركة العمالية جزء من حزب سياسي او تستخدم النشاط السياسي للوصول الى هدفها فتقوم على اهتمام العمال بالتعاونيات الانتاجية والاستهلاكية لحماية العامل و المستهلك من احتكار السوق واسعار السلع وصناعيا فهم عمال اجراء مستخدمون في المنشأة الاقتصادية لتحقيق مغنم مادية من حركة العمل . انظر: سعد توفيق البزاز , الحركة العمالية في تونس 1924-1956 , نشأتها ودورها السياسي والاقتصادي والاجتماعي , دار زهران للنشر والتوزيع ' الاردن , 2009 , ص 43
- 2 احمد عبيد , على درب نضال العمال الجزائريين لتحقيق الاستقلال النقابي ابان الوجود الاستعماري , مجلة أبحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية (دراسات وبحوث وشهادات تاريخية) , طبعة 1 , الجزائر 1989 , ص 35 .
- 3 كريمة بويكر , دور النخبة المثقفة الجزائرية اثناء الاستعمار وبعده في الجزائر -دراسة سوسيولوجية للمسار العلمي والعملي لحالة ابناء وطلبة اعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين , مذكرة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع الثقافي , جامعة منتوري بقسنطينة , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , معهد علم الاجتماع , اشراف د/ محفوظ سماتي , 2005-2006 , ص 25 .
- 4 محمد فارس , أبحاث في تاريخ الحركة النقابية الجزائرية , جذورها , تطورها , مراحلها حتى 1962 , ترجمة عبد المجيد بيرم وآخرون , مجلة من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية (الاتحاد العام للعمال الجزائريين) , ط1 , الجزائر , 1989 , ص 98 .
- 5 نفسه , ص 104 .
- 6 نفسه , ص 105 .
- 7 وجدت العديد من النقابات الحرفية في الجزائر قبل الاحتلال في المدن الرئيسية تضم اصحاب الحرف ويشرف عليها أمناء وبعد الاحتلال عازمت فرنسا على تفكيك البنية الاجتماعية للجزائريين استعدادا لدمجهم فحلت النقابات الجزائرية 1868 خوفا من تكوين ثروة تستخدم ضدها ولا يهنا الكولون مالم يقضوا على الحرف بالمدين بعدما سلبوا الارض بالريف . أنظر: أبو القاسم سعد الله , الحركة الوطنية الجزائرية 1860-1900 , دار الغرب الاسلامي , 2000 , ص 102
- 8 محمد قناش , الحياة النقابية في القطاع الوهراني بين 1929-1939 , مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر , كلية العلوم الانسانية والحضارة الاسلامية , قسم التاريخ وعلم الآثار , جامعة وهران , اشراف د/ ابراهيم مهديد , 2006 , ص 46 .
- 9 محمد فارس , مصدر سابق , ص 111 .
- 10 Ahmed Abid , Mouvement syndical et luttes sociales en Oranie 1942-1951 , volume 01, thèse doctorat 3 cycle , s/d René Gallissot , Oran , 1985 , p 12 .

11Ahmed Abid , op cit , p 12 .

12René Gallissot ,Le Meghreb de traverse , édition Bouchène , 2000 , p 87

13François Weiss ,Doctrine et actions syndicales en Algérie ,Bécançon, Imprimerie Moderne de l'Est, 1970, p 17.

محمد فارس , مصدر سابق ,ص 112 .14

15شطبي حنان ,الحركة النقابية العمالية في الجامعة الجزائرية , دافع ام معرقل للاداء البيداغوجي
مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تسيير الموارد البشرية -دراسة حالة جامعة منتوري بقسنطينة ,
مدرسة الدكتوراه , إشراف عبد الكريم بن اعراب , 2009-2010 , ص 61 .

16محمد فارس , مصدر سابق , ص 114

18Ahmed Abid , vol1, op cit , p 13 .

19Francois Weiss, op cit, p 18 .

20ادريس بولكعبيات , الحركة النقابية الجزائرية بين عصرين , اشكالية العجز المزمع عن فك
الارتباط بالمشروع السياسي , مجلة العلوم الانسانية , جامعة منتوري بقسنطينة , العدد 02 , نوفمبر
2007 , ص 150 .

21عبد القادر جغلول , تاريخ الجزائر الحديث , دراسة سوسولوجية , ترجمة فيصل عباس , الطبعة
الاولى , دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت لبنان , 1981 , ص 150 .

22محمد فارس , مصدر سابق , ص 110

23Parti de l'Avant-Garde Socialiste , Révolution socialiste , essai sur
l'histoire du mouvement ouvrier Algérien 1920-1954 , Revue politique ,
idéologique et culturelle , N 07, Alger, 1972 , p 09 .

24Ahmed Abid , vol1,op, cit, p 13 .

25الكونفدرالية العامة للشغل (تأسست 1895 ترأسها LeonJouhoux (1909-1947) ثم
Benoit Frachon (1944-1967) هي نقابة شبيهة بالنقابة الموجودة في الوطن الام تجمع
النقابات في اتحادات ولائية مع اضافة جديدة وهي : لجنة التنسيق ما بين النقابات الكونفدرالية
بالجزائر مقرها Foyer civique بالعاصمة وبعد عقد جلستها في 13-14-15 جانفي 1950
تكونت امانتها من André Ruiz و Moine blanche وبراهم موسى وبن اسماعيل علي وقسوم
دحمان وظلت نشطة الى 30-10-1954 بعد ان تحولت الى UGSA . انظر : CAOM ,
1106 / 7G, UGTA en Algérie 1957-1961 , gouvernement d'Algérie وانظر
ايضا : أحمد منغور , موقف الرأي العام الفرنسي من الثورة الجزائرية 1954-1962 , رسالة مقدمة
لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر , جامعة منتوري قسنطينة , كلية العلوم

الانسانية والاجتماعية , قسم التاريخ والاثار , إشراف د/ عبد الكريم بوصفصاف , 2005-2006 , ص 45 .

26BoualemBourouiba, op ,cit, p 81.

27 رضا بن عاشور , من تاريخ الحركة النقابية في الغرب الجزائري , حوار مع نقابيين من وهران , مجلة الاتحاد العام للعمال الجزائريين , من تاريخ الحركة النقابية الجزائرية , مرجع سابق , ص 81 .

28Parti Communiste International, Le syndicalisme en Algérie 1919-1979 , les cahiers d'El Oumami , Paris , p 08.

29محمد قنانش , مرجع سابق , ص 48 .

30Parti de l'Avant-Garde Socialiste, op cit , p 08 .

31كمال بوقصة , مرجع سابق , ص 202 .

32نفسه , ص 219 .

33Parti de l'Avant-Garde Socialiste , op cit , p 06.

34Parti Communiste International , op cit ,p 06 .

35عبد القادر جغلل , مرجع سابق , ص 151 .

36Hassan Aissat , Aissatidir , sa lutte politique et syndicale pour l'indépendance de l'Algérie , témoignages , édition Harmattan , 2006 , p 74 .

37 محمد فارس , مصدر سابق , ص 99 .

38 تعني الفرع الفرنسي للأمية العمالية وهو حزب سياسي اشتراكي فرنسي تأسس 1905 جامعا عدة

تيارات سياسية لكن في 1920 انفجر الحزب في مؤتمر تور واصبح يجمع الاشتراكيين دون

الشيوعيين وشارك في حكم فرنسا قبل وبعد ح ع 2 ثم تصدع مرو ثانية بفعل الحرب الباردة وثورة

الجزائر ظهرت منه : اتحاد اليسار الاشتراكي والحزب الاشتراكي المستقل ثم توحدوا 1960 في الحزب

الاشتراكي الموحد ثم تحول الى الحزب الاشتراكي. انظر : 39احمد منغور , مرجع سابق , ص 38

40الكونفدرالية العامة للشغل الموحدةCGTU:هي وريثة اللجان الثورية النقابية التي تأسست 1920

داخل CGT للنضال ضد القيادة المتهمه بالإصلاح وتتكون من الفوضويين , الشيوعيين والنقابيين

الثوريين , لها جريدة La vie Ouvrière ,انضمت الى الاممية النقابية الحمراء وربط علاقات قوية

مع الحزب الشيوعي الفرنسي ولجأت الى الاضرابات رغم معارضة الحكومات وارباب العمل وحيانا

تشن اضرابات سياسية مثل التتديد بحرب الريف بالمغرب واقترحت 1934 على cgt الوحدة النقابية

كهدف وضعته الشيوعية العالمية لمقاومة صعود الفاشية في اوربا وتحقق ذلك 1936 وغادر

منخرطوها الى CGT واصبح احد امنائها Leonjouhaux . انظر : Larousse.fr/

encyclopédie اطلع عليه يوم 16-03-2012 .

41Ahmed Abid , vol 1 , op cit , p 13.

42محمد قنانش , مرجع سابق , ص 81 .

43محمد فارس , مصدر سابق,ص 114 .

44أحمد عبيد , مرجع سابق , ص 37

45Ahmed Abid, vol1,op cit, p 13 .

46إمحمد قنانش , مرجع سابق , ص 50 .

47Ahmed Abid , vol1, op cit, p 15.

48محمد فارس , مصدر سابق , ص 98 .

49Ahmed Abid ,vol1, op cit , p 15.

50أحمد عبيد , مرجع سابق , ص 37 .

51كمال بوقصة , مرجع سابق , ص 365 .

52نفسه , ص 374 .

53عين بلعربي سي احمد كأمين منطقة الجزائر عن الحزب الشيوعي الفرنسي وتم اقرار انشاء مركزية جزائرية لكن تم الغاؤه 1931 بسبب رفض الاوروبيون سياسة تعريب المنظمة النقابية حسب تصريح علي بوقرط امين عام الحزب الشيوعي 1934 انظر : Mohamed Teguia , L'Algérie en guerre , OPU, Alger, p144.

54Mohamed Teguia, op cit , p 144

55كمال بوقصة , مرجع سابق , ص 206 .

56عبد القادر جغلول , مرجع سابق , ص 152 .

57Parti Communiste International , op cit , p 10.

58François Weiss, op , cit, p 20.

59كمال بوقصة , مرجع سابق , ص 222 .

60Mohamed Teguia , op cit , p 144 .

61كمال بوقصة , مرجع سابق , ص 319 .

62Parti de l'Avant-Garde Socialiste , op cit, p 09 .

62كمال بوقصة , مرجع سابق , ص 357 .

63عبد النور خيثر , تطور الهيئات القيادية للثورة التحريرية 1954-1962 , أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ المعاصر , جامعة الجزائر , كلية العلوم الانسانية والاجتماعية , قسم التاريخ , أشرف أ/د شاوش حباسي , 2005-2006 , ص 24 .

64Charles Robert Ageron , Genèse de l'Algérie Algérienne , EDIF, Alger, 2000, p492 .

65أحمد عبيد ، مرجع سابق ، ص 36 .

66عبد الوهاب شلالي ، دور عمال المناجم الجزائرية في ثورة التحرير الجزائرية 1954-1962 - المنطقة الحدودية الشرقية نموذجا - اطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة منتوري بقسنطينة ، قسم التاريخ والآثار ، اشراف أ/د عبد الكريم بوصفصاف ، 2010-2011 ، ص 121

67Jean-René Genty ، Des Algériens dans la région du Nord de la catastrophe de courrières à l'indépendance ، Harmattan ، Paris ، 2005 ، p 142 .